يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الالباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ شعبان سنة ١٣١٨ — ٧ ديسمبر (ك١) سنة ١٩٠٠)

المحاورات بين المصلح والمقلد

« المحاورة الاولى في حالة المسلمين العامة »

السلف والخلف في الاسلام . اي سيرتهما نختار للاصلاح . الانسان المدني والانسان المنطقي . شقاء المسلمين في دنياهم . الدليل على ذلك . الثقة بكتب تقويم البلدان والجرائد . رواية الكافر . التواتر . قرب قيام الساعة وفساد الزمان . الريب فيما يروونه في اشراط الساعة . سبب مرض الأمة ترك الشريعة . استحالة اصلاح المسلمين الا بالمهدى . متى تقوم الساعة . انكار المهدى . الاصلاح بابطال المذاهب

نقص على القرآء حديث محاورات بين شاب من مريدى الاصلاح الذاهبين الى وجوب خروج الامة مما هي فيه من التقاليد الحادثة في الملة والرجوع بالدين الى بساطته الاولى حيث كان يتناوله رعآء الشآء من كثب بالاقتصار على هدى الكتاب وصحيح السنة وسيرة السلف وحذف كل ما زاده الخلف من الغلو في الدين وتكثير التكاليف وابرازها بصور تقاص على الاذهان وبين شيخ من المحافظين على التقاليد التي عليها الامة

من قرون طويلة المعتقدين ان الاخذ بالكتاب والسنة مخصوص بالمجتهدين وانهم قد انقرضوا ويستحيل وجود غيرهم وان كتب المتأخرين من أموات العلماء خير من كتب المتقدمين واجمع ، وافيد في التحصيل وانفع ، ونكتفي بما يرد في المحاورات من بحث الاجتهاد والتقليد عن الكتابة فيه استقلالا فنقول :

اجتمع أحد الشيوخ المتفقهين ، واكابر الوعّاظ المدرسين ، بشاب من الناشئة الجديدة الذين جمعوا بين العلوم العصرية والدينية كما جمعوا بين المال والجاه بجدهم وكدهم ولولا ذلك لم يتنازل الشيخ لمحاورته .

نظر الشيخ الى الشاب فألفاه ضجراً متبرّماً تلوح عليه مخايل الحزن كأنما اصابته مصيبة في نفسه او اهله وماله فقال له (الشيخ) ما بالك [1] فانى اراك على غير ما اعهد وانى اعجب ان ارى مثلك يهتم لشيء من الاشياء فالحمد لله خير كثير وصحة جيدة والله قد وفقك للبر والتقوى والصدقات والمبرات والكريم لا يضام

(المصلح) : مهلا ايها الاستاذ فانى انسان ومعنى « انسان » خلق اجتماعي يشعر بانه عضو من امة يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها وانى ارى امتى اشقى الامم واتعسها فكيف اكون انا سعيدا ناعم البال . فى امة هذا شأنها من الخذلان والنكال

(المقلد) : ما هذا الذى اسمع منك فانك قد اخطأت خطأً منطقياً وخطأً دينياً أما الخطأ المنطقي فانك قد عرفت الانسان بغير تعريفه الذى اجمع عليه علماء المنطق وهو « حيوان ناطق » واما الخطأ الدينى فهو انك

(١) نتحامى في مراجعة القول ما اعتيد من القاب التعظيم كحضرتكم وفضيلتكم

اغتبت المسلمين جميعاً وجعلت امة النبي صلى الله عليه وسلم شقية بل جعلتها اشقى الامم وخالفت الكلمة المجمع عليها بين المسلمين وهي « امة محمد على خير »

(المصلح) : اننا لسنا بصدد تحديد ماهيات الانواع والاجناس فنذكر تعريف المنطقي للانسان وانما نريد الكلام فى موضوع اجتماعي فاذا لم يصح ما قلته فى الانسان عند المنطقي فهو صحيح عند اهل علم الاجتماع واما الغيبة فلا تظهر هنا لاني لم احتقر انسانا بخصوصه . واما كون الامة الاسلامية اشقى الامم فى هذا العصر فلا يشك فيه الا من لا يعرف من احوال العالم شيئاً ولا يعرف بلاد المسلمين ومن يحكمهم وما هم عليه من الجهل والفقر والذل وكيف يسامون سوء العذاب فى جميع الاقطار وهم وادعون ساكنون . غارّون آمنون . كانهم عجماوات لا يعقلون . او جمادات لا يحسون ولا يشعرون . فهل من العقل وصحة الفكر التى استفدناها من المنطق ان نكذب المحسوسات اليقينية . لكلمات كاذبة سميناها اجماعية ؟

(المقلد) : انت لم تشاهد احوال جميع المسلمين فيصح حكمك عليهم ولم لايجوز ان يكون فى البلاد البعيدة عنا من له منهم دولة قوية وعز وسؤدد . هذا اذا سلمنا لك جدلا ان المسلمين فى هذه البلاد اقل من غيرهم من اهل الملل الأخرى علماً ومالاً . وكيف نسلم بهذا واننا نرى المسلمين اغنى من القبط واما العلم فليس عند غير المسلمين علم مطلقا

(المصلح) : ان علم تقويم البلدان والجرائد السيارة قد مثلت لنا ما لم نشاهده من بلاد المسلمين وغيرها حتى كأننا نشاهده دائماً لا يغيب عنا منه شيء ولكنني اراك غير محيط بعلم ما بين يديك من حال ثروة المسلمين هنا

وعلمهم ولا اناقشك فيه الآن فان غرضي ان تقتنع بان المسلمين فى شقآء ليكون هذا اساساً وقاعدة للكلام بيني وبينك

(المقلد) : كيف اقتنع بكلام لاحجة لك عليه الا كتب تقويم البلدان وكلام الجرائد وكلاهما كذب لا يوثق به فان مصادره كلها كفرية والكافر لاتقبل روايته

(المصلح) : ان الكافر لاتقبل روايته فى موضوع كفره وما يتعلق باثباته وإبطال مايخالفه . واما ماليس له غرض فى الكذب فيه وانما غرضه ومنفعته فى الصدق به لأن فيه فائدته وفائدة قومه فان العقل يقضى بانه يتحرى الصدق فيه لئلا يغش نفسه وامته ومن هذا النحو علم تقويم البلدان وثم وجه آخر يجلى لنا تحريهم الصدق فى مثل هذا الموضوع وهو ان كل كاتب يعلم ان كتابته تنتشر بالطبع ويطلع عليها اهل العلم بموضوعها فيسلقونه بالسنة الانتقاد الحداد . والأقوى من هذين الوجهين ان معظم المسائل التي استند عليها فى حكمي على المسلمين من المتواتر الذى يفيد اليقين فان معظم مسائل علم تقويم البلدان واخبار الجرائد الشهيرة متفق عليه بين الشركات البرقية والمراسلات البريدية فى جميع بلاد المدنية . ولا يخفاكم ان التواتر لايشترط فى رواته الدين وانما آيته حصول العلم اليقيني به لمن بلغه كما فى كتب الأصول

(المقلد) : يشترط فى التواتر ان يؤمن تواطؤ الرواة على الكذب ولا يتحقق هذا الشرط الا اذا لم يكن لأولئك الرواة غرض وهوى فيما يروونه فاذا تحقق هذا الشرط بالنسبة لمسائل علم تقويم البلدان على ماقلت فلا يتحقق فى اخبار الجرائد البرقية ولا البريدية لأن لرواتها ومذيعيها

اهوآء واغراضاً سياسية

(المصلح) : انا لا اقول ان كل ما يروونه حق وصدق ولا ابرئهم من الهوى والغرض مطلقا ولكن لا تتوهم ان أهواءهم تخفى الحقيقة وإنما قصاراها ان تتصرف فيها بعض التصرف . كالاعتذار والتلطف . كما ترى فى برقيات شركة روتر الانكليزيه . فى هذه الحرب الترانسفالية . فقد كانت تخبرنا بجميع انكسارات قومها الانكليز . وهذا هو الشأن فى الاعتماد على رواة شركة واحدة فيما تتهم فيه فما بالك بما ترويه رواة شركات مختلفة الاهوآء والأغراض وتتفق فيه مع رواة البُرُد الذين يراسلون الجرائد المختلفة المشارب والمذاهب ؟

(المقلد) : انى بصرف النظر عن صدق الجرائد وغيرها اسلم لك بأن المسلمين فى حال سيئة على الجملة فان هذا آخر الزمان وكل هذه الأحوال من علامات قيام الساعة وهى كائنة لا بد منها وستزداد يوماً بعد يوم حتى لا يبقى الا لُكَع بن لكع وعليهم تقوم الساعة فلا ينبغي ان نهتم بهذا الامر ولا ان نحزن له لأنه مصداق اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ويستحيل زواله

(المصلح) : هذا بعض ما اريد مذاكرتك به فان عندى ريباً فى كثير مما يروونه فى الكتب من علامات الساعة وما سيكون قبلها اقوى من ريبك فى اخبار الجرائد وعلم تقويم البلدان ولا يسعنا فى هذا المجلس ان نبحث فى متونها واسانيدها ونبين ما يقبل منها ومالا يقبل ولكننا لا ننكر على اى حال ان لكل شىء وقتنا فيه سيئاً وان لكل مرض علاجاً فان الهيئة الاجتماعية كالهيئة الشخصية تمرض بسبب وما دام فيها رمق من الحياة لا يأس من شفائها فما رأيك ايها الاستاذ فى اسباب مرض

الأمة الاسلامية العام وما رأيك فى علاجه ؟

(المقلد) : اما سببه فهو ترك الشريعة عملاً وحكماً وليس له علاج لأن قيام الساعة قريب وهى لا تقوم الا على شرار الخلق كما قلت لك الا أن الملوك والحكام الذين افسدوا الدين والدنيا اذا حكموا بالشريعة والزموا الناس بالعمل بها يندمل جرحهم وينشعب صدعهم ويصلح شأنهم وماهم بفاعلين حتى يظهر المهدى وقد بشرنى بعض الصالحين بأنه يظهر فى هذا القرن والساعة تقوم فى اول القرن الخامس عشر واستدل على هذا بقوله تعالى « لاتأتيكم الا بغتة » فان حروف بغتة تبلغ بحساب الجمل ١٤٠٧ وبحديث « إن اساءت امتى فلها يوم وان احسنت فلها يوم ونصف » واليوم عند الله الف سنة وقد احسنت ولله الحمد ولذلك جاوزت الألف وفى اواخر النصف تقوم الساعة

(المصلح) : اما قولك ان ترك العمل بالدين والحكم بالشريعة هو سبب ضعف المسلمين فهو مسلم عندى ولكن لى فيه فهما ربما كان غير ما تريد . واما قولك ان رجوعهم الى الشريعة لا يكون الا بقوة المهدى المنتظر فانا لا اعتقد بصحة هذا بل اقول ان هذا الاعتقاد من ادوأ ادواء المسلمين واقتل امراضهم وان كان فيما قالوه عنه كلمة اصلاح وهى ابطال المذاهب وجعل المسلمين على طريقة واحدة كما هو اصل الاسلام واغرب من هذا استدلالك على قيام الساعة بالآية فان هذه الطريقة من الاستدلال ليست معروفة فى الاصول وكذلك الحديث لا أراه يصح . ثم انصرفا على ان يعودا للكلام . بعد أيام .

« للكلام بقية »

« استدراك فرط . واصلاح غلط »

سقط من اصل تفسير قوله تعالى « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » جملة نذكرها هنا لتلحق باصلها وهو آخر القسم الثالث من اقسام الضالين فى الصفحة ٥٩٣ من الجزء ٢٥ ويتلوها القسم الرابع وهى :

« اذا وزنّا ما فى ادمغتنا من الاعتقادات بكتاب الله تعالى من غير ان ندخلها فيه اوّلاً يظهر لنا كوننا مهتدين او ضالين . واما اذا ادخلنا ما فى ادمغتنا فى القرآن وحشرناها فيه اوّلاً فلا يمكننا ان نعرف الهداية من الضلال لاختلاط الموزون بالميزان او الموزون به . اريد انه يجب ان يكون القرآن اصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء فى الدين لا ان تكون المذاهب اصلاً والقرآن هو الذى يحمل عليها . ويرجع بالتأويل او التحريف اليها . كما جرى عليه المخذولون . وتاه فيه الضالون »

واما اصلاح الغلط ففى السطر ١٤ من الصفحة ٥٩١ من الجزء المذكور كلمة «هدى» وصوابها «هوًى» وفى السطر الخامس من الصفحة ٦٣١ من الجزء الاخير (٢٧) لفظ (ثابت) وصوابه (حارثة) وفى اول

السطر ١٩ من الصفحة التالية وهى ٦٣٢ لفظ (من تعوّد) والصواب (متى تعوّد) فليصحح

﴿ امالى دينية — الدرس السابع عشر ﴾

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البصير »

(٤٧) السمع والبصر — قام البرهان على ان واجب الوجود، الذى استمد منه وجوده كل موجود، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض. وانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور. ومن المعلومات ما يسمى العلم به سمعاً ومنها ما يسمى العلم به بصراً ولهذا سمّى الله تعالى نفسه سميعاً بصيراً كما سمى نفسه عالماً وعلاّماً وعليماً ولا يمكن ان يكتنه العقل كيفية علم الله تعالى بالمسموعات والمبصرات كما يستحيل ان يكتنه كيفية علمه بسائر الاشياء اليه. بل الانسان عاجز عن اكتناه علمه وسمعه وبصره وعقله وهى أقرب الاشياء وبها يدرك ويحكم ويقول الفلاسفة انه عاجز عن اكتناه اىّ شىء من الاشياء كما قررناه من قبل. ولكن الذين ساروا فى تقرير العقائد على طريق قياس الغائب على الشاهد والقديم على الحادث قالوا فى صفتي السمع والبصر نحو ما تقدم فى صفة (العلم) اى انهم لاحظوا ان لفظي السميع والبصير يطلقان على من يسمع ويبصر بالفعل وعلى من له قوة بها يدرك المسموعات وهى ما يسمى السمع وقوة يدرك بها المبصرات وهى ما يسمى البصر فقالوا ان لله تعالى صفتين قائمتين بذاته تعالى يدرك بهما المسموعات والمبصرات وهما السمع والبصر.

ثم اضطروا الى التفرقة بين الحادث والقديم فقالوا ان سمع الله تعالى بغير اذنين وبصره بغير عينين ولا يشترط فيهما ما يشترط فى الصفتين الحادثتين وان ما ورد فى الكتاب من اضافة العين والاعين اليه تعالى فى قوله « ولتُصنَعَ على عيني » وقوله « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » فهو من المتشابه وفيه المذهبان المعروفان . وبالغ بعضهم فى التحكم بالتفرقة فقال ان سمع الله تعالى وبصره يتعلقان بجميع الموجودات بمعنى انه تعالى يسمع الاجسام نفسها وجميع اعراضها من لون ومقدار وطعم وريح كما يسمع الاصوات ويبصر الاصوات كما يبصر سائر الموجودات وجرى اكثر المؤلفين بعد صاحب هذا القول على تقرير قوله وجعلوه من اصول العقائد واسس الدين . ثم غلوا فى هذه الفلسفة وزاد بعضهم صفة اخرى سموها (الادراك) وطفقوا يدققون فى الايرادات واجوبتها والذى استقر رأيهم عليه ان الله تعالى يعلم الشيء الواحد على ما هو عليه بعدة صفات وان علمه به بواسطة كل صفة منها غير علمه به بواسطة الاخريات . مثال ذلك ان الله تعالى يعلم صوتى بصفة العلم وبصفة السمع وبصفة البصر وبصفة الادراك عند من يقول بها منهم وان انواع العلم وطرقه مختلفة والمعلوم واحد .

اوجبوا على الناس ان يعتقدوا بهذه الفلسفة الدينية والتحكم النظرى . وان كان لم يشهد لهما كتاب ولا سنة ولا لغة ولم يقل بهما احد من سلف الامة مع اعتراف هؤلاء كلهم بأن صفتى السمع والبصر من الصفات السمعية التى لا وظيفة للعقل فيها الا حملها على معنى غير محال ان يوصف به واجب الوجود . على ان اللغة تنافيها . والعقل لا يقتضيها ، اذ لو كانت من اصول الايمان . لما سكتت عنها السنة والقرآن . الذى نعتقد انه لم يفرط فيه من

شيء يتعلق بأصل الدين . لا سيما ما يجب لرب العالمين

(٤٨). الواجب اعتقاده — هو الوقوف عند ما جاء فى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة وهو ان الله تبارك وتعالى سميع لاقوال العباد بصير باعمالهم واحوالهم من غير بحث فى كنه هذا السمع وهذا البصر وكيف يحصلان وهل هما بصفتين زائدتين على الذات اوداخلتين فى مفهومها او غير ذلك ومن غير مقارنة بينهما وبين العلم ولا بحث فى النسبة بين الامرين فان الله تعالى عند ما اخبرنا بسمعه وبصره ابتدأ بتنزيهه عن مشابهة أيّ شيء من الاشياء فقال عز من قائل « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وهذا الاعتقاد يسهل فهمه وقبوله على الجهول والعليم . والعامي البليد والفيلسوف الحكيم . واما تلك التحليلات والتعمقات فانها تتعاصى على افهام العامة . وتكون مثار الشبهات عند الخاصة . ولا يليق هذا بدين الفطرة والحنيفية السمحة

(٤٩) الاعتبار — من اراد ان يطيل الكلام . فى مثل هذا المقام فالاولى له ان يستعين بهذا الاعتقاد . على انذار الغافلين من العباد . فيستثير العبرة من اعماق القلوب . ويستنزل العبرة من سماء العيون . وينبّه النفوس الى الحياء من الله تعالى ان يراها حيث نهاها فيكون عندها اهون الناظرين وان يسمع منها ما لا يرضاه فانه لا يحب الجهر بالسوء من القول . ذلك ما كان يفهمه العرب من اطلاق هذه الصفات القدسية وهذا هو التأثير الذى كان يودعه فى قلوبهم وهذا الذى يليق بحكمة الله تعالى وجلاله ويجعل دينه مصلحاً للنفوس ومثقفاً للعقول . بتذكيرها بمراقبته . وحملها على خشيته . ولم يكن بناء دينه على نظريات ارسطو وافلاطون . والله يعلم وانتم لا تعلمون .